

القصص

كلبتي (بلوتا)

بقلم الاديب حسين شوقي

من المظنون ان العبقريه لاتغيب طويلا عن (كرمة ابن هاني) فان البواكير التي تنفتح عنها قريحه حسين شوقي في الشعر والقصص لابد أن تذكرها بمهبطها الاول ومآلفها القديم ، ولعلك وأجد في هذه القصة الساذجة من رقة الحديث وخفة الاسلوب ما يبعث الأمل في هذا الظن .

اذا سقت اليك الحديث الآن عن كلبتي (بلوتا) فانما هي حجة أصطنعها لأذكر فضلا من عهد الطفولة اللذيذة التي تنعش ذكراها النفس كأنما هي على حد تعبير المصريين القدماء : مكان رطب ظليل في يوم قيظ لافح ..

(بلوتا) كلبة اسبانية ، حصلنا عليها في برشلونة أثناء المنفى ، على سبيل الهدية .. وكان صاحبها من رجال السلك السياسي اضطرت له المهنة أن يغادر اسبانيا الى بلد آخر بعيد ، وكان يخشى ما تجره اليه بلوتا من متاعب أثناء الطريق ، فرأى أن يهديها لنا ..

قدمتنا بلوتا بعد ظهر يوم من أيام الشتاء ضاح جميل ، وكنا مجتمعين في الحديقة ننظر ذلك العضو الجديد في أسرتنا !

حقاً ! ما كان أجمل بلوتا بشعرها الأبيض الناصع ذي اللقائف المتعددة ، لأنها كانت من النوع الذي يشبه الخراف في فروته .. وكان شعرها مقصوفا على شكل يحاكي لبدة الأسد ، أرسلوه الى آخر الصدر ثم حلقوا النصف الباقي بالموسى .. وكان في عنقها طوق أحمر يبدو احمراره بين الحصل المنكدسة من تلك الفرواة القطنية .. وكانت بلوتا في تلك اللحظة تمشي الهويني في خيلاء وتيه كأنها تطلب منا أن نتأمل حسننها في أناة ، أو ربما لم يكن في استطاعة المسكين أن تمشي أسرع من ذلك لبدة جسمها .. وقد سميت من أجل هذا بلوتا أي الكرة ..

وألفت بلوتا عشرتنا في أقصر مدة ، حتى كانت تضايقنا بهذه الألفة .. اذ لم يعد في استطاعتنا أن نذهب الى أي مكان بدونها وكان في احدى ضواحي برشلونه متنزه جميل تتوسطه بحيرة

حفت بالأشجار الكثيفة الملتفة فكنا نقصد هذا المكان في أيام الصيف فتتغدى على ضفاف البحيرة ، فكانت بلوتا ترافقنا الى هذا المكان .. بل كانت تتقدمنا اليه في المسير .. ، فإذا ما شاهدت الماء جن جنوبها فنلتقي بنفسها في البحيرة وتظل تسبح طول النهار رائحة غادية في عظمة وأبهة كأنما هي مدرعة تختال فوق عباب الأطلنطيقا فإذا دعوناها الى الانصراف أبت مغادرة الماء ، فكان لابد من الاحتيال عليها لاجراجها منه ، وكانت أنجع الحيل معها ان نلوح اليها من الشاطئ بقطعة من السكر ، لأنها كانت مولعة بأكله . فإذا خرجت لتلتمهم قبضنا عليها بسرعة !

لشد ما كانت بلوتا تعبد الماء ! ، انها لتحملني على ان أصدق الرأي القائل بتقمص الأرواح ! فليت شعري في أي نوع من السمك قد حلت روح بلوتا من قبل ياترى ؟

الفت بلوتا كلاب الحى كذلك ، حتى كان لها من بينهن العشاق الكثر .. لأن كلاب الاسبان كلاب الشرق يملن أيضا الى الأجسام البضة !

وإذا كان لبلوتا « كما تقدم » شكل الأسد ، فلم تكن لها أبدا شجاعته ، فانها كانت تولى الأدبار عند ما يحتدم الشجار بين عشاقها (من أجلها) وتعود فتختبئ تحت سريري ..

والأمر الغريب ان بلوتا كانت على علاقة حسنة حتى مع القطط ! كانت مثال التسامح صادقة الايمان بمبادئ لوكارنو السلية !

ولما كانت بلوتا بدينة الجسم فقد عولت ذات يوم على ان أجرب على جسمها التمارين الرياضية لاخفف من شحمها المنكدس ، فكنت في صباح كل يوم أطرحها على الأرض ثم أشد يديها الى الخلف ، ورجليها الى الأمام .. مرارا عديدة .. حتى تئن المسكين من التعب والألم وكلما كان والدى يرانى منهمكا في ذلك ، كان يلومنى على عملي صائحا ، ما أقسى طبيعة الطفل ! أما أنا فكنت أفعل هذا لأتقم لنفسى على حساب بلوتا المسكين ، بما كنت أعانيه من الشدة في التمارين الرياضية بمدرستي من أستاذها الألماني .

ولشد ما كانت بلوتا ذكية أيضا !

كانت لها حجرة نوم تحت السلم طولها متران في مثلها عرضا .. وكانت الخادم تأتي كل ليلة الى الصالون حوالى الساعة العاشرة فتأخذها من بيننا لتذهب بها الى تلك الحجرة فتغطها باللحاف ، لان ليالى برشلونه الشتوية قارسة البرد ، فاذا أبطأت الخادم في بعض الليالى في الحضور ، كانت بلوتا تذهب بنفسها الى حجرة نومها ثم تعود الى الصالون وفي فيها غطاؤها ، وتظل منتظرة على هذه الحال حتى تحضر الخادمة فترافقها الى مضجعها !

وكانت بلوتا تعبد الشكولاته ! واليك ما صنعت في ذات مرة : كنت أنا أيضا أحب الشكولاته .. فكنت أشتري منها كل يوم - لدى عودتي من المدرسة - بما قيمته خمسة قروش ، لان مرتبي لم يكن يسمح لي وقتئذ والأسف ان أشتري بأكثر من هذه القيمة .. وكنت آكلها سرا حتى لا يشاركني فيها أحد .. ولكن بلوتا بذكاها الفطري العجيب كانت تدرك الامر فتقف أمامي حينما تعرف ان القرطاس بجبي ، ولا تبرح مكانها حتى أنا ولها قطعة منه .. ففي ذات يوم كنت جالسا الى مكتبي ، عا كفا على دراستي ولم

أعطيها في تلك المرة حصتها من الشكولاته ، فلم يكن منها إلا ان دست يدها خلسة في جبي فسرقت القرطاس وذهبت دون ان اشعر ، فلما وضعت يدي في جبي لاخرج قطعة من القرطاس لم أجده ، ولكنني عرفت في الحال من هو السارق ، فاسرعت الى السرير حيث اعتادت بلوتا ان تحتجى لا تقذ ما يمكن إنقاذه ، فوجدتها وبالإسفاف قد ألهمته كله ! .. وكانت الشكولاته قد لوئت ذقتها .. لقد غاظتني في ذلك اليوم لانه كان يوم عطلة ولم يكن في استطاعتي ان اشتري قرطاسا آخر .. فلما انتهت الحرب الكبرى ، وسمح لنا بالعودة الى مصر ، اردنا ان نتعجل الرجوع الى الوطن المحبوب فاجمعنا الرأي على أن نركب أول باخرة تغادر أوروبا ، لذلك قصدنا البندقية لنلحق باخرة إيطالية كانت تنأهب للسفر بعد أيام قلائل ، ولما كان السفر طويلا شاقا على السكة الحديدية من برشلونه الى البندقية ، فقد تركنا بلوتا عند بعض الاصدقاء في برشلونه ليرسلها الينا في مصر على الباخرة التي تسافر من برشلونه مباشرة الى بورسعيد بعد شهر من ذلك التاريخ وما كان أسعدنا وأسرنا حين جاءتنا برقية تنبئنا بوصول بلوتا الى بورسعيد ! هرع في مساء

ذلك اليوم الى محطة القاهرة والدى وأخي وأنا لاستقبالها .. فلما وصل القطار اذا بنا نجد بلوتا سوداء اللون كأنها أحد عمال المناجم ، لأن المسكينة قطعت المرحلة ما بين بورسعيد والقاهرة في عربة الفحم ! .. عرفتنا بلوتا في الحال .. وكما كان سرورها عظيما ! فكانت تارة تقبل ايدينا ، وطورا تجذب أرديتنا ، ومرة أخرى تقفز في الهواء ، على رغم بدانتها .. اما ركاب القطار فكانوا ينظرون اليها دهشين .. ولما عدنا بها الى المنزل استطاعت بلوتا بقوة شمها الحاد ان تعرف حجرة والدي فقفزت الى سريرها بفحمها وغبارها فايقظتها ، ولم تنج بلوتا في تلك الليلة من عقاب محم الا لفرط اشتياقنا اليها بعد غيابها الطويلة ! ولكن مسرات هذا العالم والأسفاه قصيرة المدى ! كما يقول سرفانتس .. فانه لم تمض على بلوتا أشهر قليلة في مصر حتى مرضت مرضا شديدا اضطرنا الى قتلها كي تستريح مما كانت تكابد من عذاب وألم ثم دفناها بالحديقة تحت الشجرة الكبيرة بالقرب من السور الخلفي .. ثم حفرنا اسمها وتاريخ ميلادها ووفاتها على شاهد من المرمر نصبته على قبرها . ومالك تستكثر على بلوتا الوفاة الذكية هذا الاكرام وفي الكلاب ناس كما في الناس كلاب ؟

